

قضايا الوطن والمجتمع في السرد الجزائري القصة القصيرة نموذجاً

أ. د. خلف الله بن علي

المركز الجامعي تيسمسيلت

الباحثة: ناجي نادية

جامعة ابن خلدون

تيارت

تاريخ القبول: 2019/09/20

تاريخ الإرسال: 2019/09/01

الملخص:

يتناول هذا المقال تحليلاً لبعض الأعمال السردية الجزائرية وبالتحديد القصة القصيرة، وكيف تصدى أصحابها لقضايا ذات طابع إصلاحية وطني واجتماعي، مركزين على هذه التيمات؛ (الوطن والثورة التحريرية)، وبعض القضايا الاجتماعية منها: (الهجرة والاغتراب)، قضية السكن ومشاكله، (تيممة الأرض)، (تيممة المرأة).

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة؛ إصلاح؛ قضايا المجتمع؛ الوطن؛ تحليل المضمون.

Abstract:

This article examines some of the Algerian narrative works, specifically the short story, and how the authors addressed issues of a national and social reform, focusing on these moments (homeland and the liberation revolution) and some social issues, including: (migration and alienation), (the issue of population and its problems) Earth's Time, Woman's Time .

Keywords: short story; reform; community issues; home; content analysis

مقدمة:

حاولت القصة القصيرة في الجزائر المكتوبة بالعربية منذ نشأتها قبيل الاستقلال أن تطرق مضامين مختلفة ومتنوعة، ولا عجب إن كانت قضية إصلاح المجتمع هي البداية، والمتتبع للحركة التاريخية لهذا الفن السردية يجد أنه نشأ في أحضان الخطاب الإصلاحية وتحديدا في فترة نهاية الحرب العالمية الثانية وما تلاها من أحداث سياسية واجتماعية في بلادنا، وفي مقدمتها مجازر 8 ماي 1945، وما تعرض له المجتمع الجزائري منذ أن وطئت أقدام الاحتلال أرضه من تجويع وتفجير وتجهيل وسلب للحقوق وظلم واضطهاد وطمس للهوية العربية والإسلامية، اجتمعت كل هذه الظروف لدى كتاب القصة القصيرة ودفعتهم للتفاعل معها وعليها، فعكف المبدعون على تدبيح النصوص القصصية التي تعالج هموم الإنسان الجزائري وعلى رأسها جراح الوطن المغتصب، فأضحى هذا الفن متسما بالواقعية في تصوير الحياة ورصد الواقع¹.

وقد ألزم العديد من القاصين أنفسهم بتحمل أعباء الوطن الجريح في أعمالهم وذلك بمعالجة القضايا التي يعاني منها الإنسان الجزائري واقتراح الحلول لها، وبالتالي إحداث التغيير المطلوب قصد تغيير الأوضاع. وسنحاول في هذا البحث الحديث عن القضايا الاجتماعية التي أثارها أدباء القصة القصيرة في بلادنا منذ عصر الاحتلال إلى تسعينيات القرن الماضي.

1- تيمة الوطن (الثورة) في القصة الجزائرية:

الهوامش:

1- ينظر: ملاح بناجي، آليات الخطاب النقدي المعاصر في مقارنة القصة الجزائرية دراسة في قراءة القراءة، ط. 2002، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص. 37.

أخذت قضية الثورة -سواء في الجزائر أو في الوطن العربي- مساحة شاسعة من صفحات الصحف والمجلات خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يقتصر الحديث عنها في المقالات فحسب؛ بل كان للإبداع الأدبي دوره الكبير في طرح هذه القضية، وقد كان للقصّة القصيرة حصّة الأسد تقريبا من بين الفنون الأدبية على صفحات تلك المجلات والجرائد، والغريب أنّ هذه التيمة لم تتوقف عن الحضور في التصوص الإبداعية إلى يومنا هذا، وذلك لقيمة تلك الثورة والتي قام بها الجزائريون ومكانتها في العالم.

وكما هو معروف فإنّ الأدب هو شرارة الفعل السياسي الثوري؛ بمعنى أنّ من أراد ثورة عليه أن ينشر أفكاره بالنص الأدبي سواء الخطابات أو الرسائل أو المقالات أو حتى التصوص الإبداعية كالقصص والروايات والقصائد الشعرية، لأنّ هذا النوع من الأعمال الإبداعية هي بمثابة المهية للعقول والحفز لها لتقبل الفعل الثوري وممارسته، وفي أدبنا الجزائري نماذج كثيرة من هذا القبيل، فقد حاول المبدع في مجال القصّة في بلادنا إبان فترة الاستعمار أن يُثوّر المجتمع الجزائري ضد المستعمر الغاشم الذي أهلك الحرث والنسل، ومن ذلك ما فعله "محمد سعيد الزاهري" عندما دبّج قصّة (فرانسوا والرّشيد) والتي طرح فيها سياسة فرنسا في تفضيل الفرنسيين وتمييزهم عن الجزائريين في قضية التعليم، وقد حاول هذا الأديب أن يعلن ناقوس الخطر حول مخاطر قضية مثل هذه؛ ونعني إنتاج جيل جاهل لا يستطيع تحمّل مسؤولياته ويستمرّ في خضوعه وخنوعه للمستعمر يفعل به ما يشاء، ولعلّ هذا العمل الإبداعي السردّي من الأعمال الأولى التي حاولت زرع الشك والريبة في عقول الجزائريين من المستعمر وأعماله، وهناك العديد من

الأعمال الشعريّة الفصيحة والشعبيّة وكثير المقالات التي نحت المنحى نفسه؛ والتي استطاع أصحابها تنوير العقل الجزائريّ وتنويره فيما بعد.

ويستمرّ سير النضال ضدّ المستعمر بواسطة الإبداع الأدبيّ، ومع اندلاع الثورة التحريريّة المباركة واصلت القصة بكل أنواعها نضالها ضدّ الأوضاع السياسيّة المزريّة والحالة الاجتماعيّة والأخلاقيّة المتدهورة¹. وقد ظهرت منها نماذج جيّدة إلّا أنّها كانت قليلة، اتّجه معظمها إلى تشريح واقع الشعب الجزائريّ وإلى التعبير عن نضاله وآلامه وآماله، وإلى تجسيد الظروف الاستثنائيّة التي يعاني منها بسبب الظلم والبؤس الذي كابده الجزائريّ من قبل المستعمر الفرنسيّ، ومن أبرز إنتاجات تلك المرحلة المجموعة القصصيّة لـ "عبد الحميد بن هدوقة" (الأشعة السبعة)²، والتي أخذت الطابع الثوريّ في أغلبها 9 من 13 قصّة، وقد كانت قصة (الأشعة السبعة) التي أخذت اسم المجموعة أكثر تعبيراً عن قضية الثورة³.

وقد لخصّ مضمون هذه القصّة الباحث "مخلوف عامر" إذ رأى أنّها تبتدئ بمقدمة وصفية نتعرّف من خلالها على الطّفل الأبكى الأصم، له أمّ لا يراها، وبجوارهم بركة يخشاها سكّان القرية جميعاً؛ لأنّ فيها عملاقاً يختطف العذارى، يأتي إلى البركة فيرمي سبع أحجار الواحدة تلوى الأخرى، فتشكّل سبع دوائر، فتخرج شمس ذات سبعة أشعة وهو يسمع صوتاً يقول: (إني عائدة)، استمر الطّفل يتردد على البركة ثمّ اهتدى إلى أن يحضر سطلاً، يملأه ماءً فيسقي جفاف البركة الجرداء، كانت الأمّ فيما بعد قد حضرت مع ابنها هذا إلى البركة لتستحمّ وتأخذ الماء فغاصت في البركة وابتلعت، وفي يوم كان الطّفل جالساً عند البركة يرمي

¹ - ينظر: ملاح بناجي، آليات الخطاب النقدي المعاصر، ص. 38.

² - عبد الحميد بن هدوقة، الأشعة السبعة (مجموعة قصصية)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط. 2، 1981.

³ - ينظر: عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص. 43.

أحجارا كالعادة، وإذا بسرب من الطائرات يمرّ فوقه متبوعا بسرب من الغربان، سقطت قبلة في البركة ودوى انفجارها وإذا بالحسنة الجميلة تخرج منها، فينطق الطفل قائلا: "أمي"¹.

ويكتشف قارئ هذه القصة أن شخصياتها «ليست إنسيّة من البشر؛ وإن تجسدت في بعض صفات البشر بالفعل، وإنّما هي شخصيات رمزيّة ترمز إلى قيم وطنيّة وإنسانيّة وثوريّة أعمق بكثير من حركة الشخصيات الحقيقيّة في العمل القصصيّ»².

ويحلّل الباحث "مرتاض" تلك الرّمزية فيعتقد أنّ (الصبيّ الأبكم) يرمز إلى الشعب الجزائريّ المحروم من حرّيته في التعبير، وهذا ما سبّب بكمه، وتدلّ الأمّ على الجزائر تلك الفتاة الجميلة المعتصبة، ويرمز عملاق البحيرة للاستعمار الفرنسيّ في قوّته وجبروته، كما ترمز شخصية الأب إلى الشعب الجزائريّ، والشّعاع والشمس يدلّان على الحرّيّة والاستقلال³. وهذه القصة في مجملها ترمز أو تدلّ على عمر الثورة التحريريّة، فكلّ شعاع تقابله سنة من سنواتها، والعدد سبعة «مقدّس في الأديان كما هو مقدّس لدى السحرة والكهّان كما نجده عددا سحريّا أو فلكلوريّا لدى معظم شعوب الأرض»⁴.

وعود على بدء فإنّ معظم القصص القصيرة الجزائريّة التي تناولت قيمة الثورة كانت تتسم بالواقعيّة في معالجة القضايا التي عجلت باندلاع الثورة التحريرية، فكانت مواضيعها كاستغلال المستعمر لخيرات الجزائر ونهب لمقدّراتها، وظلم وقهر

1 - مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1998، ص.42.

2 - عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص.43.

3 - المرجع نفسه، ص.44.

4 - المرجع نفسه، ص.51.

وتجويد وتجهيل لأبنائها هي أكثر ما تناوله القاصّ الجزائريّ آنذ، وقد كان القاص لا يجد عنّا في إبداع قصصه بسبب واقعيّة الأحداث التي كان يعيشها الجزائريّين يوميّا شعبا ومبدعين¹. كما أنّ خطاب القصّة الثوريّة كان يتميّز بالقوّة وصدق العاطفة والتفاعل الإيجابي مع نضال الأمّة ومبادئ الثوّرة.

وبعد الاستقلال يلاحظ الباحث - في هذا المجال - أنّ المجتمع الجزائريّ عرف تحوّلا من الثوّرة والاضطراب إلى الاستقرار المادّي والفكريّ، ممّا أدّى إلى ظهور جيل جديد من كتّاب القصّة الشّباب الذين حاولوا الكتابة؛ إلّا أنّ الكثير منهم سقط في التقليد «فمنهم من يمارس القصّة بشيء من الوعي الفتيّ لكتابتها، فهو يملك الموهبة، ولكنّه لم ينضج في أساليبه وتجاربه في الفنّ والحياة معًا، وفريق آخر يكتب القصّة بدوافع غير فنيّة وبغير فهم أو وعي أو بتعبير آخر يفترق الأصاله»²، ويؤاخذ على هذا الجيل أنّه تناول في كتاباته القصصيّة موضوع الثوّرة بنوع من الحنين والتّمجيد لمآثرها وبطولاتها وأبطالها من المجاهدين والشّهداء، وللتدليل على ذلك نأخذ مجموعة القاص "محرز زيتوني" (دموع وقضبان) خاصّة في قصّة (إفرازات محمومة)³.

ففي هذه القصّة يقوم بتصوير أحد الفدائيّين في رحلته عبر طريق جبليّ وهو يحمل مؤونة وغذاء للمجاهدين (الخاوة) فيصفه القاصّ في هذا المقطع السّردى: «كان شابّا يافعا، يدفعه عنفوان الصّبّا للتحوّل فعشق الطّبيعة عشقا أبديّا حتى أصبحت جزءًا من كيانه، يشعر دوما أنّه ينفذ من خلالها إلى أغوار نفسه سابرا

1 - للتفصيل أكثر في هذه القضية ينظر: عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص.174.

2 - عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، ص.175.

3 - محرز زيتوني، دموع وقضبان (مجموعة قصصية)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص.17.

خفاياها، نحيق الحمار يعيده لذاته يوكزه بعنف (أر..أر..) عليه أن يسرع قبل أن يكتشف الغرباء مكانه، يمدّ يده إلى الحمولة التي أثقلت كاهل حماره، يتحسّسها تغمره نشوة لا توصف، تيار من السعادة يغرقه في ابتسامة، آه لو وصلت هذه الحمولة إلى الخاوة لكانت الضربة القادمة أقوى»¹.

ونلاحظ يُيسر أن القاص رغم أنه لم يعايش أحداث الثورة فعلياً إلا أنه استطاع استنساخ النموذج القصصي الذي عايش الثورة، فنقله في تصوير مشهدي وكأنا نراه، فقد تركت الثورة الجزائرية أثراً كبيراً في المبدعين رغم مرور السنين على أحداثها.

ومن النماذج القصصية الجزائرية التي عاجلت تيمة الثورة بعد الاستقلال نجد قصة (الحزام) للقاص "عبد القادر ضيف الله"، وهي قصة تصوّر مأساة شاب ريفي جزائري إبان الثورة التحريرية، هذا الشاب (البطل) فقد شقيقه وبصره في آن واحد بعد أن انفجر لغمّ عليهما ظنّه شقيقه لعبة فحمله معه، كان هذا الحادث في طفولة البطل وقد أثر كثيراً في نفسيته، وبعد التقائه بمجموعة من المجاهدين قرّر الانتقام، فكُلّف بمهمة تفجير قطار كان يحمل جنوداً فرنسيين وهذا المقطع السرد يؤكد ذلك: «سيكون القطار هدفك، ستجده ممتلئاً بالجنود العائدين من إجازاتهم، هناك ستنفذ مهمتك، لا أحد سيخطر بباله أن يفتش ضيراً»².

يواصل القاص سرد أحداث القصة: «جلس في مقعد محدّد بعدما ودّعه الفتاة المكلفة بتشجيعه، وهي تبصر القطار ينفتح آخر أنفاس صقاراته، حدثت في وجه ساعتها وراحت تراقب ما سيحدثه الانفجار... متأبطاً عصاه الزّوجيّة، تلمسها

1 - محرز زيتوني، دموع وقضبان (مجموعة قصصية)، ص.ص 17-18.

2 - عبد القادر ضيف الله، أضواء على جسر العبث (مجموعة قصصية)، منشورات دار القدس، وهران، الجزائر، 2010، ص.52.

رافعا رأسه إلى الأعلى واضعا اليد الأخرى على رأس الحزام، بتكبيره الله أكبر، ضغط بإصبعه على الزرّ فدوى انفجار عظيم»¹، وتنتهي أحداث هذه القصة باستشهاد الضّير وانتقامه لأخيه، ولكلّ جزائري قتل ظلما وعدوانا.

والملاحظ على هذه القصص التي عاجلت موضوع الثورة سواء زمن الثورة أو بعدها أو حتى بعد ثمانينيات القرن الماضي أنّها لم يطرؤ عليها تغيير كبير لا شكلا ولا مضمونا، فقد تميّزت بقالب واحد في أحداثها وشخصياتها وطرائق سردها، وقد حاول من خلالها مدبّجوها إيصال فكرة جوهرية، وهي مقاومة المستعمر على ما فعله في بلادنا لأكثر من قرن وثلاثين سنة.

2- قضايا المجتمع في القصة القصيرة الجزائرية:

في الحقيقة ليست القضايا الاجتماعية بالشّيء الجديد عن القصة الجزائرية، فقد تناولتها القصة الثورية، إلّا أنّ الملاحظ للقصة بعد الاستقلال يجد أنّ حدة هذه القضايا قد ازدادت وازدهرت، وهذا طبيعيّ نظرا لما خلفه المستعمر من آثار سلبية على المجتمع، ويمكننا أن نستخلص العديد من تلك القضايا ولعلّ أهمّها: الاغتراب والهجرة، الأرض، مشكل السكن، المرأة، الفقر، ولعلّ تيمة الفقر هي القاسم المشترك بين كل هذه المشاكل الاجتماعية، فمن مفرزاته التسوّل مثلا، ونجد القاصّ "عبد القادر ضيف الله" يتناول هذه الظاهرة في المجموعة القصصية (أضواء على جسر العبث) في قصة (ليلة الدّفن)؛ فقد يصوّر لنا امرأة متسوّلة ضريرة أجبرتها الحاجة على مدّ يدها، وقد استطاع القاصّ الجزائريّ خاصّة بعد الاستقلال أن يتناول -تقريبا- كل ما له علاقة بالمجتمع ومشاكله واهتماماته بطريقة فنيّة راقية أحيانا ومتوسّطة أحيانا أخرى، وسنحاول فيما يلي التّعرض لأهمّ تلك القضايا:

1- المرجع نفسه، ص. 53.

2-1- الهجرة والاغتراب:

نجد هذه القضية قد تناولها الروائيون قبل كتاب القصة، وهي قضية بارزة احتضنتها القصة القصيرة أيضا، وهي من إفرازات الأوضاع الاجتماعية التي خلفها المستعمر في بلادنا، وقد كان دافع كتاب هذا الفن من تناول هذه المواضيع الشعور بالمسؤولية والرغبة في الاضطلاع لهذه المسؤولية على خير وجه، والبحث عن الحلول الملائمة لها وبالأساليب المناسبة¹، فكان اختيار الحديث عن الهجرة بغية تقديم أعمال فنية فيها إصلاح للمجتمع خاصة اقتصاديا وأخلاقيا، وذلك بتنوير القارئ المغترب وتعليمه وترسيخ قيم المجتمع الجزائري في وجدانه لكي لا تحرفه الحضارة الغربية فتنتطمس هويته وثقافته، وحثه على التهوض اقتصاديا بمجتمعه الأصلي، ولا نبالغ إذا قلنا أن القاص "عبد الحميد بن هدوقة" أبرز وأهم من كتب في هذا المجال، فقد كتب العديد من القصص التي تعالج هذه القضية، نذكر منها تمثيلا لا حصرا: قصتي (الرسالة والمغترب) من مجموعة الأشعة السبعة، و قصتي (الكاتب وثن المهر) من مجموعته الكاتب وقصص أخرى².

تعتبر قصة (الرسالة) من أجمل ما دجّه "بن هدوقة" في هذا المجال، وهي تصوّر قضية تزويج بعض العائلات الجزائرية لأبنائهما وهم غير قادرين على تحمّل المسؤولية، خاصة من المناحي المادية، والقصة تتناول حكاية شاب اضطرّ -أمام إلحاح والديه على خطبة فتاة جميلة ذات نسب- إلى تأجيل زواجه بعد ثلاثة

¹ - ينظر: محمد مصايف، القصة القصيرة العربية في عهد الاستقلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص.15.

² - ينظر: عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص.20.

سنوات، فهاجر خلال هذه الفترة إلى فرنسا لجمع المال وبناء مستقبله ليتفاجأ والده بزواج ابنه من فرنسية¹.

ويستطيع القارئ لهذا العمل الفني أن يستخلص أنّ هذه القصة -وبالإضافة إلى تناولها لتيمة الهجرة من أجل العمل- تناولت قضايا ساهمت فيها الهجرة أصلاً منها انصهار المهاجرين من الشباب الجزائري في المجتمع الفرنسي والزواج من الأجنيبيات والنتيجة في أغلب الأحوال فقدان الهوية الجزائرية.

ومن النماذج القصصية التي عالجت قضية الهجرة والاعتزاب خاصة بعد الاستقلال قصة (العجلة) للقاص "عبد القادر ضيف الله" ومحتواها السردية هو قصة شاب ذميم الوجه قد نبذه المجتمع بل حتى أباه وأمه اللذان يشمئزان منه ويشتماناه ويجرحا شعوره بقولهما له: (وجه الشر هذا الولد)². فقرّر الهروب إلى الخارج، وقد ساعده ذلك على تغيير وضعه الاجتماعي وتحسن حالته الاقتصادية والتفسيّة «لم يعد أحد يدير وجهه عنه، الكلّ في تلك البلاد المضيفة مشغول بجمّة، لا تطير ولا تشاؤم ولا التفات إلى العدم، في غضون ستّة عشر سنة التي قضاها في الغربة والتي جعلت منه إنساناً مهماً»³. ولأنّ الجزائري أو قلّ إنسان العالم الثالث ينبهر بكلّ ما هو أوروبيّ، وحتى أنّه ينبهر بأخيه الجزائريّ إذا انتقل إلى هناك ويعاملونهم -إذا عادوا إلى أرض الوطن- بنوع من التعظيم رغم أنّهم أبناء جلدتهم.

ويكتشف الباحث في مجال القصة الجزائرية القصيرة أنّ هذه التيمة تراوحت بين السلبيّ والإيجابيّ، بمعنى أنّ هناك من استعملها على أنّها ملاذ كلّ شابّ جزائريّ

¹ ينظر: ملاح بناجي، آليات الخطاب النقدي المعاصر، ص. 58.

² عبد القادر ضيف الله، على حشر العتب (مجموعة قصصية)، ص. 76.

³ المرجع نفسه، ص. 78.

غلقت في وجهه الأبواب في وطنه وبعد هجرته تغيرت أحواله للأفضل، واستطاعوا تأمين مستقبلهم ومستقبل عوائلهم، ومنهم من رأى أنها ظاهرة سلبية سببت ضياعا وانحرافا وانسلاخا للكثيرين.

ويرجع الكثير من الباحثين ظهور هذه التيمة في القصة الجزائرية بداية خمسينيات القرن الماضي، خاصة مع القاص "أبو العيد دودو"، والذي جرب ظاهرة الهجرة والاعتراب في فرنسا أيضا (دار الثلاثة) خاصة في قصة (الحبيبة المنسية) وقصة (مجرد بطاقة) من مجموعة (بحيرة الزيتون)، فالقصة الأولى تجسد حياة شاب هاجر إلى النمسا للعمل، وقد ترك حبيبته في الجزائر، وقد ركز القاص على تصوّر حالة الوحدة والغربة الرهيبة التي قاساها ذلك الشاب، وهذا المقطع السردّي يبيّن ذلك: «لم يكن يخطر بباله أنه سيشعر بالوحدة في مدينة كبيرة كمدينة فيينا، فقد كان في اعتقاده أنّ الحياة بكل وهجها وروعها تتمركز في المدن الكبيرة المزدهمة، فهي سخيّة كريمة معطاءة تقدّم كل يوم، بل كلّ لحظة شيئا جديدا له طابعه الخاص»¹، هناك بُعدٌ نفسيّ في هذه القصة حاول من خلاله "أبو العيد دودو" تلمّس أو تحسّس وبوضوح ملامح غربة المكان والزمان وشعور البطل فيهما بالوحدة القاتلة، خاصة عندما يتذكّر حبيبته فيزيد ذلك من لوعته.

وفي قصة (مجرد بطاقة) فيصوّر القاص حياة شاب جزائريّ هاجر إلى فرنسا من أجل مواصلة دراسته، وبسبب تأخر منحة الدراسة غدا مهدّدا بالجوع والطرّد من الإقامة، وقد استطاع القاص هنا أن يعبر عن طبيعة المجتمع الغربيّ، والذي تحكمه

1 - أبو العيد دودو، بحيرة الزيتون (مجموعة قصصية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص.127.

الحياة المادّية¹، والذي يختلف جذريا عن المجتمع الجزائري والشرقيّ معا، والذي يميّزه التضامن ونكران الذات والكرم وغيرها من السلوكات الإسلامية.

وفي الاتجاه نفسه عالج القاصّ والرّوائي الجزائريّ "واسيني لعرج" الهجرة والاغتراب بطريقة أخرى، ونقصد التّمييز العنصريّ الذي عانى منه المهاجر الجزائريّ والإفريقيّ معا، حيث كان هذا موضوع قصّته (كائنات حشرية) من مجموعته القصصية (حميدا المسيردي الطيّب) مصوّرا أثر ذلك التّمييز في نفسية البطل الذي يمثّل كلّ جزائريّ مغترب تعرّض للموقف نفسه، فيقول على لسان البطل: «في تلك اللحظة بالذات تذكّرت كلّ الوجوه الرائعة التي تقتل يوميا على أرصفة شوارع باريس، أو تموت بالتقسّيط في مزابلها»²، وهذا المشهد السّردّي يحاول من خلاله القاصّ أن يعطي لبطله مساحة زمنيّة ليتناسى من خلالها همّه وأحزانه والتي يتقاسمها مع إخوانه في ديار الغربة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هناك نوع آخر من الهجرة عالجها القاصّ الجزائريّ، ونعني الهجرة من الأرياف والبادي إلى المدن، وقد رأى معظم مؤلّفيّ هذا النوع من القصص أنّ دافع ذلك هو الفقر، ومن النّماذج التي تناولت هذه التّيمة نجد قصّة (ومضة خاطفة) للقاصّ (عبد الرحمن ماضي) وملخص هذه القصّة أنّ شابّا جزائريّا فقيرا ترك القرية هروبا من البطالة والفقر، متأمّلا أن يجد في المدينة عملا يعيل به والده، ويظهر أمام قاطني القرية بمظهر لائق، لتنتهي القصّة نهاية مأساويّة حيث تتكسّر أحلامه على سواحل الواقع المرير، فقد التقى في المدينة

¹ ينظر: فاطمة الزهراء زيراوي وآخرون، صورة المثقف في القصة الجزائرية المكتوبة بالعربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص.48.

² - واسيني لعرج، حميدا المسيردي الطيّب (مجموعة قصصية)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1982، ص.158.

بامرأة فرنسيّة أبدت نحوه عواطف كاذبة فيقبل العمل عندها كأجير ولأثما لم توفّه كامل أجره حاول سرقتها ليلا فتموت رعبا منه¹.

2-2- قضية السكن ومشاكله في القصة الجزائرية:

من القضايا التي توّرق بال الشعوب والحكومات في كلّ أنحاء العالم، ولأهميتها اتخذها المبدعون -خاصة في مجال السرد- من أهمّ التيمات التي عالجوها في أعمالهم الإبداعية، وتعدّد مشاكل السّكن في المجتمعات في الأعمال الإبداعية ك«انعدام السّكن، أو ضيق في السّكن، مشكلة السّكن، أو رفض طلب السّكن، أو العجز عن بناء هذا السّكن»²، وهي ظاهرة القرن الماضيّ خاصّة النصف الثاني منه إلى يومنا هذا.

وكما يبدو واضحا أنّ هذا النوع من القضايا هو تخصّص علماء الاجتماع، إلّا أنّنا نجد المبدعين خاصّة للقصة القصيرة قد خصّصوا الكثير من قصصهم لهذا الموضوع وخاصّة في إطار مضمونها الاجتماعي³، ومن أبرز كتّاب القصة في الجزائر الذين تعرّضوا لهذا الموضوع في أعمالهم القصصية (مصطفى فاسي) خاصّة في مجموعته القصصية (رجل الدارين وقصص أخرى)، والتي يصوّر فيها بطله (موح رابح) والذي دفعته الظروف القاهرة كما أغرت المدينة برونقها المزيف أحيانا لهجر أرضه التي تكرها له والده، والتي كانت مصدر قوته ومكان عمله، كما أنّها كانت تؤمّن له السّكن، والذي درج فيه صغيرا ثمّ تربّى فيه أبناؤه ليؤكد القاصّ بالوسائل السردية أنّ ما يربطه بتلك الأرض ليس مجرد انتماء لقطعة أرض. وبعد انتقال البطل إلى المدينة يواجه أول مشكلة وهي السّكن، وكحلّ مؤقت استأجر سكنا في

1 - ينظر: عبد الله ركي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص.184.

2 - عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص.30.

3 - عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص.31.

إحدى العمارات ولنتصوّر الفارق بين سكن ريفي واسع وشقة في عمارة! ما اضطرّه إلى القيام ببعض التعديلات لحل هذه المشكلة، ممّا أدّى به إلى إنفاق كلّ الأموال التي ادّخرها لشراء سيارة، وهذا المقطع السردى يوضّح ذلك: «حاولت في زمن ما أن تجمع لها بعض المال ثمّ وجدت نفسك مضطراً إلى صرفه من أجل بناء جدار قسمت به صالون منزلك لتجعل منه غرفتين، ذلك الجدار صار يسمّى الجدار الفاصل، الحقّ يقال: لقد كانت فكرة ممتازة مكّنتك من التفريق في النوم بين بناتك وأبنائك الذين صاروا رجالاً ونساءً»¹، ولم تنته مشاكله مع هذا السّكن، إذ يقول: «ثمّ حاولت الاقتصاد من جديد وتمكّنت بصعوبة كبيرة من جمع مقدار آخر، صرفته تلبية لرغبة زوجتك العزيزة في إصلاح البالكون حتّى تجعل منه غرفة صالحة لزواج ابنك البكر، البالكون واسع وجيّد وقد مكّنتك من حل هذه المشكلة أيضاً، أنت ما زلت تفتش عن الحلول داخل المنزل، ولكن لا تحاول مرّة أخرى فللبيت حدود، إنّ هذه الطّريقة جعلت جدران البيت المبلّلة في معظم أيّام السّنة تزداد رطوبة»²، وبهذا النّسق كان القاصّ وعلى لسان الرّاوي يحاول أن ينقل لنا ما كان يتخبّط فيه "موح رابح" من حيرة ومشاكل لا تنتهي.

ومن القصص الجزائرية التي تناولت هذه القضية، والتي وجدنا الباحث "عبد الملك مرتاض" قد درسها قصّة (الأضواء والفئران) للقاصّ "مصطفى فاسي"، وقد تصوّر فيها شاباً يمارس مهنة التّعليم، حيث أنّ راتبه كان زهيدا، ولم يمكنه من امتلاك سكن خاصّ به عوض الكوخ الضيّق الذي كان يعيش فيه، وهذا ما أدّى به إلى رفض الزّواج من فتاة كان مرتبطا بها ونصحها في هذا المقطع السّردى قائلاً:

1 - مصطفى فاسي، رجل الدارين وقصص أخرى (مجموعة قصصية)، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص.ص. 153-154.

2 - مصطفى فاسي، رجل الدارين وقصص أخرى (مجموعة قصصية)، ص. 154.

«أرجوك لا تنتظريني، اذهبي وابحثي عن رجل يسكن في منزل وتزوّجيه»¹، ويبدو أنّها ليست المرّة الأولى التي ينصح فيها امرأة قد ارتبط بها بالزواج بسبب مشكلته مع السّكن، ويظهر ذلك في هذا المقطع المونولوجي: «مسكينة! هذه أيضا مخدوعة جديدة في المدرسة، لا تعرف عني كلّ شيء، لا تعرف شيئا عن فاطمة وعن بابة، صبرت الأولى ثلاث سنوات ثم تزوّجت، وانتظرت الثانية عامين ونصحتها ألاّ تضع وقتها»²، وعند محاولته اقتحام شقّة بإحدى العمارات التّظيففة ألقت الشرطة القبض عليه وزجّ به وراء القضبان.

ولا نبرح هذه التّيمة حتّى نتعرّض لقصّة (الدّبدابة) للقاصّ الجزائريّ "عبد الحفيظ بن جلّولي" والتي وإن اختلفت في طريقة السرد وتقنياته إلّا أنّها تكاد تتطابق في حدثها مع القصص الأخرى التي عالجت مشكلة السّكن في المجتمع الجزائريّ يقول القاصّ على لسان البطل: «لقد أكملت اليوم الملفّ الخاصّ بالسّكن الاجتماعيّ، سوف أودعه الديوان العقاريّ، انتظر كثيرا حتّى تحصل على منزل أجهّد نفسه في إعادة تهيئته»³.

وكما هو ملاحظ فإنّ هذا العمل الفنّي يعالج قصّة مواطن جزائريّ تحصل على سكن اجتماعيّ بعد طول انتظار، إلّا أنّه لم يهنأ به، فبالإضافة إلى ضيق هذا السّكن فهو يحتاج إلى إعادة ترميم كليّة وهذا مالا طاقة له به، وبعد أخذ وردّ قرّر العودة من حيث أتى؛ إلى حيّه الشعبيّ «عاد إلى حيّه الشعبيّ (الدّبدابة)، إلى الأحضان المدجّجة بالحبّة، عاد حيث يعيش كابن مدلل، كلّ الأصدقاء كانوا آباء

1- ينظر: عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص.32.

2- المرجع نفسه، ص.32.

3- عبد الحفيظ بن جلّولي، دموع فوق سطح الغربة (مجموعة قصصية)، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، 2003، الجزائر، ص.25.

أوفياء، كما كان كلّ الوطن دبدابته العتيدة»¹، فالقاص يحاول أن يعرّي ما تقوم به الهيئات المسؤولة عن السّكن في الجزائر من تفريط في أداء واجباتها ممّا ينعكس سلبيًا على المواطن فتتفاقم مشاكله.

2-3- تيمة الأرض في القصّة الجزائرية:

الأرض هي ملاذ الإنسان الوحيد، ومنها يأخذ كلّ ما يحتاج إليه، وما صراع الإنسان مع أخيه الإنسان -في معظم الأحيان- إلّا من أجلها، فهي المصدر الأوّل والرئيس لحياة الإنسان، لذلك نجد البشر شديديّ الارتباط بها، ولم تغب الأرض عن المبدعين كتيمة للإبداع، وقد حاول كتّاب القصّة لدينا -كما غيرهم من المبدعين- معالجة قضايا الأرض في أعمالهم القصصيّة، فتحدّثوا عن الرّيف وعن الكوخ وعن الثّورة الرّاعيّة، وعن الرّيف والمدينة مع شيء من الاختلاف بين مرحلة ما قبل وما بعد الاستقلال².

ولعلّ المجموعة القصصيّة (الصّداع) التي أبدعها القاصّ "أحمد منّور" خاصّة قصّتي (قلبتان من شعير) و(الأرض لمن يخدمها) تعدّ من أهمّ الأعمال القصصيّة الجزائرية في هذا المجال، وقد عالج في القصّة الأولى ظاهرة الإقطاع الذي سيطر زعماءها على امتلاك وتسيير أغلب الأراضي الجزائرية خلال فترة الاستعمار³، وذلك أنّ صاحب الأرض (الجزائريّ) أصبح أجيرا في أرض كانت بالأمس القريب أرض أجداده، يلاقي الاضطهاد والذلّ والهوان من قبل غاصبها الأجنبيّ، وقد يعمل فيها بقوت يومه.

1- عبد الحفيظ بن جلولي، دموع فوق سطح الغربة (مجموعة قصصية)، ص. 25.

2- ينظر: ملاح بناجي، آليات الخطاب النقدي المعاصر، ص. 59.

3- ينظر: عبد الملك مرتاض، القصّة الجزائرية المعاصرة، ص. 24.

أما النموذج الثاني (الأرض لمن يخدمها) فقد عالج فيها تواصل معاناة الفلاح الجزائري مع الأرض في ظل الاستقلال، وما جاء معه من ثورة زراعية وإصلاح زراعي، والذي وإن حرره من الظلم والاستغلال؛ إلا أنه فتح أمامه مشاكل أخرى كالتهجير والخبرات والتسويق وكيفية ترقية الإنتاج¹.

ومن المبدعين الذين اهتموا بتيمة الأرض نجد القاصّ والروائي (الحبيب السايح) والذي تناول في قصّة (السنابل) حياة فلاح يعمل كخماس لدى "الحاج قدور" الذي كان يتفنّن في إذلاله، فرغم مرض هذا الفلاح المزمن إلا أنه لم يستطع التّغيب يوماً عن العمل في الحقل حتّى نهاية حياته، وأمام هذا الموقف الأليم (موت الخماس في الحقل) لم يكلف "سي قدور" نفسه شيئاً؛ بل ألقى بعض الدنانير لأسرة الفقيد وقال في استهتار: «الله يرحمو هيا للخدمة»²، وهي قصّة تجسّد معاناة البسطاء في الجزائر العميقة على يد ملاك الأراضي والإقطاعيين الاستغلاليين الذين ليس لهم همّ سوى جمع المال والتّمتّع به، والملاحظ على قصص قبل الاستقلال وبعده أي حتّى نهاية سبعينيات القرن الماضي كانت قضايا الأرض تتراوح بين استغلال الأجنبي للجزائريين وبين استغلال ملاك الأراضي من أبناء جلدتهم بُعيد الاستقلال.

أما بعد تسعينيات القرن الماضي فقد اتخذ موضوع الأرض في الكتابات القصصية منحا آخر، إذ أضحي يعبر من خلاله المبدعون عن قضية الانتماء إلى المكان وإلى الوطن فانحصر تقريباً في المدينة والقرية، وحتّى الحي، ومن نماذج ذلك قصّة (من يفتح لي قلبه؟) لـ"محرز زيتوني" والتي افتتحها بقوله: «آه منكما يا

1 - عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص.26.

2 - المرجع نفسه، ص.26.

عيناي!! لم تعودا كما عهدتكما حادثتين، لم تعودا تميزان بين الأشياء، إني لا أرى إلا جدراناً وطرقاً متفرعة، إلى أين أمضي؟! لم يبقَ إلا ذكريات أجرتها في وحدتي، ها هي القرية تستقبلني بنفس الفتور الذي ودّعتني به»¹، وكما نلاحظ على هذا المقطع السرديّ فإنّه يغلب عليه التأمل والتأمّل والذكريات على ماض يبدو للبطل أفضل من حاضره، ماض في قريته ابتعد عنه وعن صفاء العيش فيه كثيراً، حيث ابتلعت المدينة جزءاً كبيراً من حياته، وعند عودته لقريته لم يجد تلك الأحاسيس التي كان قد عاشها ولم يستطع أن يعيدها بسبب تغيّر الأحوال، فللمكان أثر كبير وبالغ على حياة الإنسان.

ويصرّح في موقف آخر من القصة نفسها قائلاً: «كنت أمرّ في هذا الحيّ مرتفع الجبين، ولا أدري لماذا لا أشعر بعظمتي إلا في هذا الحيّ؟! أكنت أمرّ به فأشعر بكبر نفسي، كلّ الناس تحترمني في هذا الحيّ»²، يشعّرنّا البطل في هذا المقطع السردّي بانتمائه لأرض (القرية) وذلك الحيّ فيها، فهما ليسا مجرد مكان سكّنه، بل هما الذكريات والصّبا والأصدقاء والأهل والأرض الحنون عليه.

2-4- تيمة المرأة:

قبل تسعينيّات القرن الماضيّ كان الحديث عن المرأة في المجتمع الجزائريّ أو على الأقلّ في العديد من أرجاء الجزائر يعدّ تقريباً خطأً أحمر، ولندلّل على ذلك وفي فترة السبعينيّات والثمانينيّات لم يُطرق هذا الموضوع بشكل مباشر؛ بل كان مجرد تلميحات تقيدها العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعيّة، فلم تخرج لذلك صورة المرأة في أغلب الأعمال القصصيّة عمّا يلي: (المرأة الزّوجة الضّعيفة/ المرأة الفتاة

1- محرز زيتوي، دموع وقضبان (مجموعة قصصية)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص. 11.

2- المرجع نفسه، ص. 12.

المراهقة المقيدة والمحرومة من حرّيتها/ الأمّ القاسية المتسلّطة الجافية لأبنائها/ المرأة المحبوبة المتّصّفة بالوفاء أو بالحَيّانة/ دون أن ننسى زوجة الأب الحقودة على أبناء زوجها، وكذلك عمل المرأة في الأرياف في الحقول والمهن الشاقة خاصّة الزراعيّة). ومن الأعمال الفنيّة في مجال القصّة القصيرة التي عاجلت شقاء المرأة وكدها لمواجهة مصاعب الحياة نجد قصّة (الطريق الفضيّ) لأبي العيد دودو من مجموعته الموسومة بهذه القصّة، يسرد القاصّ في هذه القصّة معاناة امرأة من قاطني الأرياف، والتي اضطّرتها الحاجة إلى العمل من أجل إعالة أبنائها الخمسة بعدما أهملهم أبوهم بسبب كسله وتماطله في البحث عن عمل وإمضائه لمعظم أوقاته في المقهى «لا يزال الليل مقيما في الكوخ... إنه لم يعد بعد من مقهى القرية، فهي تقوم بكلّ شيء وعملها لا ينتهي، تحطب، وتُحضّر الماء من العين، وتشتغل من حين لآخر نظير حبّات من القمح أو حفّات من الدقيق، تصنع منها الطّعام لأطفالها الخمسة، يراحهم فيه زوجها»¹، فالقاصّ هنا يصوّر معاناة تلك المرأة في سبيل إعالة أبنائها وتحمل عبء زوجها أيضا والتي هي في شجار دائم معه، ثم ينتقل القاصّ أثر ذلك إلى تصوير الطريق الذي تسلكه المرأة ليلا لتعمل عند إحدى النّساء في عجن الزّيتون لتحصل على قليل من الزّيت والكسرة لأطفالها «قطرات من الزّيت، وربّما قليلا من الكسرة كذلك من أجل هذا ستعاني من أهوال الطريق»²، ودليل القاصّ على طول الطريق تقسيمه لرحلة المرأة في هذا الطريق إلى أربعة مقاطع (الليل/السرى/القمر/الفجر)، ولخوفها الشديد من المشي ليلا أخذت معها ابنها. وأثناء سيرهما يتراءى لهما بين أشجار الصّبار والزّيتون

1 - أبو العيد دودو، الطريق الفضي وقصص أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص.83.

² - المرجع نفسه، ص.88.

طريقاً فضيّاً كان يتبعهما، فخافا كثيراً واعتقدا أنّه شبّحا (غولاً) ولكنّهما وخوفاً على لقمة العيش تشجّعوا وواصلوا السّير، وباقتراحهما من ذلك الطّريق يلاشئ خوفهما «بعد أن عرفت طبيعة الغول الذي انتصب أمامهما، كانت ثمّة ورقة صّبار انعكس فوقها ضوء القمر فأدخل الرّعب في قلوبهما»¹، فكان الطّريق في تشعّبه وكلّ ما يحمله من مخاطر هو رمز لصعوبة حياة هذه المرأة وكفاحها وشقائها في الحياة، وبطريقة جدّ مشوّقة في هذا العمل السّرديّ يجسّد أبو العيد دودو معاناة وكفاح نساء الأرياف في بلادنا في سبيل لقمة العيش وتربيّة الأبناء.

ومن القصص الّتي عاجلت علاقة الرّجل بالمرأة والعادات والتّقاليد في بلادنا نجد قصّة (الأغنيّة اللّعينة) للقاصّ "عبد الحميد بن هدّوقة" الّتي عاجلت موضوع العزوبة والشّعور بالقلق والفراغ لدى الفتيات بسببها، وكذلك قصّة (الثوب الأبيض) للكاتبة والقاصّة (زهور ونيسي)؛ والّتي تعدّ من أكثر القصص تركيزاً على قضيّة التّقاليد ووضع المرأة عندما تُحرّم من التّعليم وتُحجّر على الزّواج المبكّر من شخص لا تعرفه ولا يتناسب معها، ودائماً مع "زهور ونيسي" في قصّة (الحلم الضّائع)، وهي تصوّر قصة فتاة كان حلمها الوحيد الذّهاب إلى المدرسة، ولكنّ إهمال والدها لها وقسوة زوجته عليها حال دون ذلك، وأجبرها على العمل كخادمة لدى صاحب المقهى، والكاتبة هنا تحاول نفّس الغبار عن المرأة، مستمّية في محاولة ترسيخ أو صناعة قيم جديدة في المجتمع الجزائريّ تعطي للمرأة بعض حقوقها الّتي سلبت منها قسراً وبقوانين عرفيّة جائرة.

وبعد تسعينيّات القرن الماضي اختلفت الرّؤية لقضيّة المرأة جذريّاً على كلّ الأصعدة خاصّة اجتماعيّاً، فلم يعد دورها يقتصر على إنجاب الأطفال وتربيتهم،

1 - المرجع نفسه، ص. 96.

ولم تعد أيضا مجرد جسد ينظر إليه بشهوة ورغبة، بل أصبحت تشارك الرجل أعباء الحياة، كما أصبح لها حق الحرية واتخاذ قراراتها بنفسها، فأصبحت متعلمة تحمل الوعي بالمسؤولية الكاملة، كل هذا انعكس على صورتها في الأعمال الإبداعية عموما والقصة بشكل خاص، فعدا تناول كتاب القصة لهذا الموضوع بأكثر جرأة. ومن نماذج ذلك صورة الأم المكافحة الصامدة أمام قوة الحياة، وقد نجد ذلك في قصة (الأم) لـ"عبد القاهر ضيف الله"، وقد بدأت هذه القصة بهذا المقطع: «هي أكبر مما تعرف، وأنت لا تعرفها إلا حينما تفقدها... زمن الجري يا بن (مّا) في اتجاه لقمة العيش الحائي، الهارب من عالم بؤسك، لتسدّ به بؤر الجوع المشتعل في أفواه أطفالها كل مساء، يمتطي فيها الدّوار صهوة ذلك الطّابور الطّويل.

- أتذكره:

- بلا شكّ تذكر، حينما كانت تضمّك بعيدا عنها حتّى تجنبك دهس الأرجل المتدافعة في فوضى»¹. فإن أردنا أن نقارن بين المرأة العاملة في هذه القصة وقصة (الطريق الفضّي) سوف نجد البؤن شاسعا والفرق واضحا في رؤية المبدع لعمل المرأة، وحتى نوع المعاناة وطعمها، وكذا الآليات السردية التي عوّل عليها القاص في إيصال الرسالة.

ولا تختلف صورة المرأة كزوجة عن صورتها في قصص ما قبل الثمانينيات إلّا بكونها مثقفة، أو تملك هامشا من المناورة بسبب تغيّر أوضاع المجتمع واكتسابها هامش كبير من الحرية، ففي قصة (تمرد) لـ"عبد الحفيظ بن جلّولي" عالج فيها قصة زوجة مثقفة تعاني سوء معاملة زوجها، إلّا أنّها تضطرّ للصبر من أجل أبنائها، وهذا المقطع السردى يصوّر ذلك: «يناديها بعنف، يتآكل من داخله لشدة حنقه

1- عبد القادر ضيف الله، أضواء على جسر العيث، ص. 40-41.

يجلس في الصّالون... تأتي أمامه تجرّ أذيال خضوعها الأنثويّ مقهورة مطأطئة الرأس، يدفعها إحساس شديد إلى الركوع بين يديه، هؤلاء بناتي، وردات مفعمات بالحياة، لأجلهن أصبر وأصابر¹، وهذا حال الكثير من النساء الجزائريات اللّائي دفعتهنّ ظروف معيّنة إلى مثل هذا الزّواج المضطرب، وهي ظواهر منتشرة بكثرة في المجتمع الجزائريّ الذي لم يستطع الإفلات من الاحتكام للعادات والتقاليد رغم انفتاحه نوعا ما بعد تسعينيّات القرن الماضي.

والجدير بالذكر أنّ ما عرضناه من نماذج هو كتابات رجاليّة، ولو عرّجنا على الكتابات النسائيّة في هذه الفترة لوجدناها تختلف كثيرا عن نظيراتها الرجالية، ومن نماذج ذلك ما أبدعته القاصّة "نسيمة بولوفة" في مجموعتها القصصيّة (قبلة خطيرة) والتي حوت العديد من القصص، والملفت أنّها كلّها تتحدّث عن شؤون المرأة، ويظهر ذلك من عناوينها (موعد معها/ قالت لي العرّافة/ أحبته فأغرقها/ الملاك الشيطان/ قلبك وسادتي)، وعلى خلاف الكتابات الذكورية نلمس تجديدا في الطّرح، فنجدها تركّز على الحالة النفسيّة للمرأة كونها مخلوقا طافحا بالأحاسيس والمشاعر، ففي قصّة (الملاك الشيطان) مثلا تتعرّض الكاتبة لقضيّة عمل المرأة وضيق الرّجل ذرعا بمزاحمتها له، وذلك من خلال التحاق (ليلي) بسلك الشّربة كمحقّقة مساعدة للمفتّش (كمال) في التّحقيق في جريمة قتل كانت الضّحيّة امرأة، ويظهر استيائه في هذا المقطع السّردى: «بدا كمال غاضبا من أمر تعيين ليلي كمساعدة له، بالأمس اتّصل به عميد الشّربة السيّد مراد، ووضعه أمام الأمر الواقع، أوامر مراد لا تزال ترنّ بأذنه، كنوثة غير مرغوب فيها»².

1 - عبد الحميد بن جلولي، دموع فوق سطوح القرية (مجموعة قصصية)، ص.78.

2 - نسيمة بولوفة، قبلة خطيرة وقصص أخرى (مجموعة قصصية)، المطبعة الشعبية للحيش، الجزائر، 2007، ص.58.

وتعليقا على هذه القصة نلاحظ أنّ عمل المرأة في مثل هذه المهن جديد على المجتمع الجزائري؛ بل شاذّ. ويرى الرجل الجزائري -ومهما كان مستواه الثقافي والفكري- أنّ هذا حكر على الرجل؛ لأنّ أنوثة المرأة وضعفها لا يساعدها على ممارستها. وفي مقطع آخر يؤكّد البطل على موقفه قائلاً: «ألا تصعدي يا ليلي؟! وأضاف ساخراً: أم أنّك تخافين رؤية الدّم: على كلّ بوسعك البقاء هنا بين الأزهار إن أردت ذلك»¹. إلّا أنّ القاصة أرادت أن تثبت للرجال أنّهم مخطئين في تصوّرهم للمرأة ونفسيّتها، ودليلها أنّ بطلتها تمكّنت من فكّ طلاس الجريمة والتعرّف على القاتل، وتؤكد أنّ القوّة ليست ذكورية فحسب؛ بل للمرأة أيضاً ما تقولُه خاصّة إذا تعلّق الأمر بالفطنة والذكاء.

خاتمة:

مجمل القول في تقديرنا أنّ القاصّ الجزائري (رجلاً وامرأة) استطاع من خلال ما أبدعه من قصص قصيرة أن يلامس الواقع الاجتماعيّ في بلادنا بكلّ جوانبه وبكلّ معطياته وبكلّ متغيّراته -بغضّ النظر عن جودة البنية السردية لتلك الأعمال- لأنّ هذا الواقع إمّا فُرِضَ عليه فرضاً، خاصّة عندما كان يساير الظروف السياسيّة (الثورة المسلّحة والثورة الاشتراكيّة)، أو فرضته البيئة التي ينتمي إليها كالأحداث السياسيّة والاقتصاديّة ومتغيّراتها، أو الظروف الاجتماعيّة التي تُملّحها العادات والتقاليد والأعراف والدين وما إلى ذلك. وقد أحسن المبدع الجزائري -على الأقلّ- في جانب محتوى القصص في التعبير عمّا أراد التعبير عنه.

1 - نسيم بولوفة، قبلة خطورة وقصص أخرى (مجموعة قصصية)، ص. 60.